المحاضـــــرة العاشـــرة :القـــصّـــة

1)تمـــــهـــيـــــد:

تُعدّ القصة من أبرز الفنون الأدبية التي تعبّر عن التجربة الإنسانية وتناقش مشاعر الأفراد وأحوال المجتمعات عبر حدث محدد أو شخصية محورية. وقد تطورت القصة عبر العصور، ليس فقط بصيغتها الحديثة، بل بوصفها شكلًا من أشكال السرد التي ظهرت بأشكال مختلفة في التراث العربي قبل أن تتبلور كفن أدبي مستقل في العصر الحديث.

2)مفهوم القصة :

القصة فن أدبي نثري يقوم على سرد أحداث مترابطة ومرتّبة ترتبط بشخصيات معينة وتدور في إطار زمني ومكاني محدّد، تهدف إلى إثارة اهتمام القارئ وتوصيل فكرة أو عبرة في اللغة، تعني القصة *سرد الخبر أو تتبّع أثره*، كما ورد في معجم *لسان العرب* بأنّ .معينة القِصَّة هي *الخبر المقصوص الذي يُقصّ للآخرين*، والكلمة مشتقة من جذر (ق،ص،ص) الذي يدلّ على تتبع الأثر ونقله. اصطلاحًا، تُعد القصة سردًا واقعيًا أو خياليًا لأحداث يصوغها الكاتب بأسلوب فني، يجمع بين الوقائع والصراعات والعناصر الإنسانية، ليترك أثرًا نفسيًا أو فكرًا في نفس القارئ سواء كان الهدف من القصة *الترفيه* أو *التثقيف* أو *نقل رسالة إنسانية واجتماعية*.

3)نشأة القصة و تطورها في الأدب العربي الحديث :

تُعدّ القصة من أقدم صور السرد في الأدب العربي، فقد وجدنا في التراث العربي القديم أشكالًا بدائية للسرد مثل الأخبار التي يروّجها الناس عن الأحداث والشخصيات، إلى جانب حكايات الأمثال والقصص الخرافية التي كانت تُروى للتسلية أو لنقل العِبر والقيم الأخلاقية. وهذه الأشكال لم تكن قصة فنية بالمعنى الحديث، لكنها تُعد أصولًا لسرد القصص بما يحمله من عناصر أولية للحكاية والسرد.

ومع اتساع حركة الصحافة واحتكاك الأدب العربي بالآداب الأجنبية في أواخر القرن التاسع عشر، ظهر فن القصة بمعناه الحديث، حيث أخذ الكتاب يستخدمون القصة كمنبر فني وسردي يعالج قضايا اجتماعية وإنسانية. وقد ساهم هذا التطور في انتقال السرد من مجرد أخبار وحكايات متداولة شفهيًا إلى فن قصصي منظم ومرتّب يعتمد على حبكة وشخصيات وتسلسل درامي واضح.

وبذلك يمكن القول إن القصة العربية الحديثة نتاج تفاعل بين التراث السردي القديم والاحتكاك بالآداب العالمية الحديثة، ما جعلها تتطور من شكلها البدائي إلى جنس أدبي مستقل ذا أساليب وخصائص فنية واضحة.

4)مراحل تطور القصة الحديثة :

مرت القصة العربية بمراحل عديدة منذ نشأتها حتى وصولها طور النضج و الاكتمال

أ-مرحلة الترجمة :في هذه المرحلة الأولى، بدأت القصة الحديثة تتشكل في العالم العربي من خلال ترجمة نماذج قصصية من الأدب العالمي إلى العربية، مما ساعد القرّاء العرب على الاطلاع على بنى السرد الحديث وأشكاله الفنية، وفتح آفاقًا جديدة أمام الكتّاب العرب للتعرّف على التجارب الفنية غير المحلية. وقد لعبت حركة الترجمة دورًا مهمًّا في نقل القصة الغربية **إلى** الثقافة العربية، وكانت نصوص القصة المترجمة مادةً خصبة للقراءة والنقد، تتيح للكاتب العربي فهم بنية القصة الحديثة وتقنياتها السردية،و من أشهر ما ترجم في هذه المرحلة "مغامرات تلماك" التي ترجمها رفاعة الطهطاوي .

ب- مرحلة المحاكاة والتقليد: بعد انتشار الترجمات واحتكاك الكتّاب العرب بالقصص الأجنبية، دخل الأدب العربي مرحلة المحاكاة والتقليد، حيث بدأ الكتاب العرب في تقليد الأسلوب الغربي وقوالب السرد العالمية في أعمالهم القصصية. في هذه المرحلة حاول الأدباء العرب إعادة إنتاج التجارب الغربية مع بعض التعديلات، لكن لم تكن هناك بعد رؤية فنية محلية مستقلة أو تصوّر عربي خالص للقصّة، بل كانت التجارب مكتوبة تحت هيمنة التأثير الغربي في الشكل والمضمون،و من أشهر تجارب هذه المرحلة القصص التي أعاد مصطفى

لطفي المنفلوطي التي اقتبسها من الأدب الفرنسي و قام بإعادة صياغتها بأسلوبه الخاص ،ولاقت استحسانا كبيرا من قبل القرّاء ومنها الشاعر ،و الفضيلة ،و تحت ظلال الزيزفون أو بول و فيرجيني ،و من بين الأدباء الذين حاولوا أيضا استلهموا القصص الغربية و حاولوا محاكاتها نجد حافظ إبراهيم في قصته ليالي سطيح ،و المويلحي في قصته "حديث عيسى بن هشام".

ج-مرحلة الإبداع (التجريب والاستقلال الفني) :مع الوقت وتعمّق التجربة القصصية العربية، دخل الأدب القصصي مرحلة الإبداع الفني والاستقلال، حيث بدأ الكتاب في تكوين أسلوب سردي عربي خاص، يعكس هموم المجتمع وواقعه وخصائصه الثقافية .في هذه المرحلة لم يقتصر الكاتب على إعادة إنتاج النماذج الغربية، بل طوّر أسلوبه الخاص في السرد، وابتكر أشكالًا جديدة من القصص التي تعبّر عن الذات العربية وتجاربها. وقد أفضى هذا التطور إلى بروز أصوات قصصية عربية مبدعة قادرة على تقديم تصورات أدبية جديدة ومستقلة في عالم القصة ،و يعد النّقّاد قصة "زينب" لمحمد حسين هيكل أول قصة عربية مكتملة الخصائص الفنية ،لتتوالى بعدها التجارب القصصية الناجحة للمبدعين العرب ،فبرز منهم كثير من الكتّاب كان لكل منهم سماته الفنية و الأسلوبية الخاصة ،و من بينهم :عبد الرحمن الشرقاوي ،وعبد الحميد جودة السّحّار وتوفيق الحكيم ويوسف إدريس وغيرهم .

5)عناصر القصة :

أ-الشخصيات :تمثّل الشخصيات الدعائم الأساسية في القصة، فهي الفاعلون الذين تتناولهم الأحداث وتتحرك عليهم الوقائع. ويمكن أن يكون هناك شخصية رئيسية أو أكثر من شخصية ثانوية تساهم في تطور الأحداث وتقديم مختلف الجوانب الإنسانية والاجتماعية.

ب-الزمان و المكان : يحدد هذان العنصران الإطار الذي تجري فيه أحداث القصة؛ فالزمان يشير إلى الفترة أو الوقت الذي تحدث فيه الأحداث، والمكان يحدد البيئة الجغرافية أو الاجتماعية التي تتحرك فيها الشخصيات، ويساعد ذلك القارئ على تصور المشهد أكثر.

ج–الحبكة : تمثل سلسلة الأحداث المتتابعة التي تشكل بنية القصة، وتبدأ من العرض ثم تتطور نحو الذروة ثم النهاية. وتقوم الحبكة على صراع أو مشكلة تواجه الشخصيات وتخلق توترًا دراميًا ينجذب إليه القارئ.

د–الصّراع : يعدّ الصراع المحرك الرئيسي للأحداث، وهو مواجهة بين قوى متعارضة (مثل الشخص مع نفسه، أو مع شخص آخر، أو مع المجتمع أو الطبيعة)، ويعطي هذا الصراع الديناميكية والمتعة للسرد.

هـ–الموضوع : هو الفكرة الأساسية أو الرسالة التي يريد الكاتب إيصالها من خلال سرد القصة. وقد يكون الموضوع مرتبطًا بالحب، أو الحرية، أو الخير والشر، أو أي رؤية ثقافية أو إنسانية.

و–السرد: هو الطريقة التي تُروى بها الأحداث في النص القصصي، وهو عنصر أساسي في بناء القصة إلى جانب الشخصيات والزمان والمكان والحبكة. في اللغة، يعني السرد *التتابع والتسلسل في الحديث*، أي عرض الوقائع والأحداث بشكل منظم وواضح من البداية إلى النهاية. وفي الاصطلاح الأدبي، يُقصد بالسرد الأسلوب الذي يستخدمه الكاتب (أو الراوي) لنقل أحداث القصة من واقعها إلى شكل لغوي متسلسل وجذاب للقارئ، بحيث تُقدم الأحداث في تتابع منطقي يوضح تطورها ويشد انتباه القارئ.

6)نصوص و تطبيقات :

النّصّ القصصي التالي هو بعنوان "ذهاب و إياب " للكاتب المصري صبري موسى .

اقرأ القصة و قم بمقاربة العمل القصصي فيها ،مستخرجا أهم عناصر القصة : الموضوع ،الشخصيات ،السرد ،الحوار ،الزمان و المكان ،الحبكة .

نص القصة :

كان "شدوان" نائماً بجسده, لكن رأسه صاحٍ..الجسم ناء بأحمال النهار الطويل الذي بدأ قبل أن تلقي الشمس بأول خصلة من شعرها الوهّاج على الحقول الداكنة المبللة بالندى, وعلى

.الأشجار والجداول والترعة القبلية.

الجسم ناء وتورّمت عضلات الذراعين, وأخذت شرايين الفخذين تنتفض بحركة الدم صاعدةً هابطة, فأقعى "شدوان" على سرير السّعف بعد العشاء. وعَمِل الملحُ والبصل وخبز الذرة أعمالها فتخدّر "شدوان" وتمدّد, لكن رأسه بقي صاحياً. .

لا تستطيع جدران الطين والقَشّ أن تمنع العواء. لا تستطيع حزمةُ البنات المنحدرةُ من صُلبه, المكوّمة في غطاء قطني على الحصير الأغبر أن تمنع العواء. لا تستطيع زوجته بدفئها العَطِن ورائحة البصل التي تفوح منها على سرير السَّعف أن تمنع العواء. وما كان العواء صاخباً, وما كان يشبه حتى العواء!..

فوالده المسن يعلم ما يجوز وما لا يجوز, وهو أيضاً خبير بالبئر وما عليها من غطاء؛ وفق هذا فليس الألم بجديد عليه. ستون سنة تكفي وتزيد كي يتدرب الإنسان على استيعاب الألم وكتمانه, حين لا تكون هناك فائدة من إزعاج الآخرين به, لكن لا بأس بين الحين والحين من آهةٍ هنا..وآنَّةٍ هناك. .

إنما الأنَّات إبرٌ, والآهة مخراز..إبرُ مدببات كلها تمزق خَدَرَ "شدوان" وتتسلق بأسنانها على أعصابه حتى تصل إلى أذنيه فتثقبهما, فيبقى الرأس صاحياً. .

قال " شدوان" لنفسه : يتمنى الشيخ المريض طبيباً, لكنه يخجل من الإفصاح, هذا كلام الابن "شدوان" فالفرع يهتز حين تصيب الأصلَ صدمة ما. لكنَّ "شدوان", الرجل المعلق في حياته من عرقوبه, أخذ يفكر: "ما فائدة الطب في سن الستين؟". .

منذ أيام ذهب الشيخ بألمه المعتاد إلى عيادة كل الناس , ووقف في الطابور حتى جاء دوره, فلم يتسع الوقت ليبسط ألمه كاملاً على مائدة الطبيب العجول, وأعطوه مزيجاً يعالج كل الأمراض. عاد الشيخ من العيادة يسحب آلامه وكف عن التوجع, لكن "شدوان" كان متأكداً أن الألم ما يزال, فالرجل صبور, وصحَّ ما توقعه, فالألم بالأمس أطلَّ واخترق نطاق الكتمان وانتشر في الدار, فذهب العاجز إلى عيادة كل الناس مرة ثانية, وعاد بدواء جميع الأمراض. .

وانقسم "شدوان" على نفسه وهو يرهف أذنيه لألم أبيه. قال الابن "شدوان" : لابد لهذا العاجز من طبيب خاص. فأجاب "شدوان" المعلق من عرقوبه: أسوق عليك النبي أن تسكت, فمن

أين لنا بأجر طبيب خاص؟..أراد "شدوان" أن ينفض السخط فحرّك أخشابه المغطاة ولم تستجيب له إحدى ساقيه لأنها قد ماتت, فأخذ يدلكها لعيدها إلى الحياة.

وفوق مصطبة الفرن كان الأب قد أطلق العنان لألمه, وفي ظنه أن الجميع نيام وأخذت الإبر والمخازير تسبح في ظلام المأوى, تتخبط في جدارن الطين والقش وتصطدم بالذرية مندفعة إلى سرير السعف لتثقب أذني الابن " شدوان".

قال المعلق من عرقوبه : من أين لنا أجر الطبيب الخاص؟ قال الابن : الأمر لا يخلو, معي جنيهان, لهما ضرورة, أي نعم..لكن أبي ضرورة أيضاً.!! قال المعلق من عرقوبه : وهل يصحو طبيب خاص في مثل تلك الساعة؟! قال الابن: حين نصل يكون قد صحا.

نهض "شدوان" الابن و"شدوان" المعلق من عرقوبه ومشيا في جسدٍ مُوَحَّد فوق حزمة الذريَّة إلى الحاصل الخلفي, وتلمسا معاً في ظلام الحاصل مربط الحمار, وأيقظاه, فنهض الحمار فمضى "شدوان" الموحد يقوده خارج الحاصل وهو يزجره ,على قوائمه غاضباً وأخذ ينهق.

حمل "شدوان والده المسنَّ خارج المأوى ودثَّره, ووضعه على الحمار بإحكام, على حين كان المعلق من عرقوبه في عجلة الحياة, يرقبه من داخله, وكأنه يسخر منه.

لكنه مع ذلك نخس الحمار بعصاه فراح يتحرك متكاسلاً.. أداروا للقرية ظهورهم وأخذوا يخبّون على الدرب المندّى, ويخترقون الحقول, ويزعجون الصمت على السكك المرصوفة, أن المسيرة سوف تغرق أباه "ولم يكف الشيخ عن إرسال إبره ومخاريزه, كان في ظن "شدوان في الأمل وتخذَر ألمه, ولكن السكة كانت طويلة والليل بارداً. وفي الفجر لاحت الجيزة, وحين دخلها الحمار بمن عليه ومن وراءه, كان النهار قد اتضح, وكان "شدوان" قد بدأ يتوجّع أيضاً.

كشف الطبيب على المريض بعد أن دفع "شدوان" في الخارج جنيها, قال الطبيب: هذا الشيخ بحاجة إلى عملية ...

فأُسْقِطَ في يد "شدوان" .ضحك الطبيب بوقار وهو يعلن أن أجر العملية عشرون جنيها.

أسوق عليك النبي, احمل والدك وهيا :الابن وجحظ قلبه, فقال "شدوان" المعلق من عرقوبه .عُد به

قال الطبيب: أنا مُقَدَّر..سأجعلها خمسة عشر. احسم أمرك فليس أمام أبيك وقت, صاح المعلق من عرقوبه: والله يا شيخ ما معنا شي. قال "شدوان": سأبيع الحمار. قال المعلق من !عرقوبه : مجنون أنت؟! هل لنا غيره؟

صاح الابن: أبي والحمار في ميزان واحد, ما ترى أنت؟! قال المعلَّق: لم يبق من الرجل .لكنه ما يزال الأب..كما أن الحمار حماره :نفع.. قال الابن

انتهز الطبيب الفرصة وأصدر أمره بتجهيز غرفة العمليات. قال الابن: سأعود حالاً بالنقود. أخذ شدوان" الحمار إلى السوق وعاد يلهث بالنقود في يده. دخل "شدوان" على الطبيب وناوله النقود, وابتسم الطبيب بوقار وهو يدس النقود – التي كانت حماراً – في جيبه وقال .بفخر: نجحت العمليّة, لكن الرجل قد مات.

حمل شدوان" الجثة على كتفيه وغادر الجيزة ومضى يقطع الطريق راجعاً والجثة على كتفيه. وكان المعلَّق من عرقوبه قد انفصل عنه وأخذ يؤنبه. قال المعلَّق من عرقوبه: أنا أعرف أبي جيداً, لم يشأ الرحيل قبل أن يأخذ حماره معه.

مراجع المحاضرة :

-محمد يوسف نجم ،القصة في الأدب العربي الحديث ،دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ،ط1،بيروت 1966.

-مجموعة من المؤلفين ،تطور النثر القصصي ،كتاب المختار في الأدب و القراءة للسنة الثانية الثانوي .